الموهبةُ و العبقريّةُ

الموهبةُ و العبقريّةُ

د. مريم الهاشمي

بيت الفلسفة
Philosophy house

الموهبةُ و العبقريّةُ

تأليف: د.مريم الهاشمي
مراجعة: باسل الزين
تصميم الغلاف: ريم المزروعي
الإخراج الداخلي: موزه المزروعي

نشر في الفجيرة – الإمارات العربية المتحدة
الطبعة الأولى 2023

تـم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن وزارة الثقافة والشباب.

يمنع استخدام أي من المواد التي يتضمنها الكتاب أو استنساخها أو نقلها، كلّياً أو جزئيّاً، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، إلّا بإذن خطّي من بيت الفلسفة.

الأفكار والآراء المنشورة في هذا الكتاب تعبر عن آراء الكاتب ولا تعبر عن رأي بيت الفلسفة بالضرورة.

بيت الفلسفة
Philosophy house

©بيت الفلسفة ذ.م.م.
جميع الحقوق محفوظة

Philosophyhouse.ae
Philosophyhouse.ae
Info@philosophyhouse.ae

رقم إذن الطباعة
MC-02- 01- 2576551

الترقيم الدولي ISBN
9789948792819
التصنيف الموضوعي
– الفلسفة وعلم النفس
– الفئة العمرية: E

بيت الفلسفة
Philosophy house

الفلسفة بنت التّساؤل العقليّ عن الماوراء، والماوراء كامن في الوقائع نفسها. إنّه الماهيّة التي لا تُدركها الحواسّ.
ولهذا جاء السّؤال الفلسفيّ مُبتَدِئًا بِـ «ما» الدّالّة على الماهيّة.
ولأنّ الفلسفة تساؤل العقل الحرّ، والطّليق، فإنّ بيت الفلسفة آثر أن يُعيد للفلسفة أسئلتها المرتبطة بالوجود، والمعرفة، والحقّ، والجمال، والإنسان في كلّ تعيّناته الحضاريّة الكلّيّة.
أسئلة الفلسفة سلسلةٌ لجميع التّائقين إلى المعرفة، وأحبّائها.

الفهرس

توطئة 9

أوّلًا : المفهوم بين الموهبة والعبقريّة 12

ثانيًا : مفهوم ملكة العقل 18

ثالثًا : العقل في الفلسفة 22

تنقسم المعارف البشريّة إلى طائفتين 29

رابعًا : العقل بين القلب والجسد والقالب 32

خامسًا : العقل وملكة الحدس 35

سادسًا : العقل والأفكار 36

سابعًا : العقل والدربة 41

ثامنًا : العقل والانضباط الذاتي 47

خاتمة 52

المصادر والمراجع 54

بسم الله الرحمن الرحيم

وفي أنفسِكم أفلا تُبصِرون

الذاريات ٢١

لكل الطُّرق التي خُيّل أنها مُوصدة

ونُتِخَت بالوعي

مريم

توطئة :

إنّ الحديث عن الموهبة والعبقرية ما هو إلا بحث في الإنسان، ذلك بأنّه الأنموذج الأوحد في بيان معنى المصطلحين ، والفرق بينه وبين من يتشارك معه هذه الحياة من المخلوقات والجمادات هو "العقل"، قال تعالى : " ولقد كرمنا بني آدم " (الإسراء 70). العقل مناط التفكير وأسّه؛ لذا وجدنا أنّ البحث في طريقة الوصول إلى الموهبة أو العبقريّة، أو الوقوف على المعنى الدقيق لهما ما هو إلا بحث في العقل، والوصول إلى دوره وطريقة عمله أو إعماله، لنصل فيما بعد إلى الصّفة التي نريد أن نتقمّصها لتُصْبِح بذلك عادة من عادات النفس كالموهبة أو العبقرية. وجاء البحث كذلك ليتناول المعرفة الحقّة للعقل وعلاقته بغيره من الملكات الحسيّة والفكريّة، وأيها تسيّر الآخر، وكيف يمكن إصلاحه بعيدًا من المعنى الاصطلاحيّ العام للمصطلحات؛ بل لفهم أعمق للنفس والحياة، ومن ثمّ ممارسة الحياة بكل دعة، ومما يساعد على ذلك صفات كالموهبة والعبقرية .

لولا العقول لكان أدنى ضيغمٍ أدنى إلى شرفٍ من

الإنسان. (المتنبّي)

وفي العقل مقالات كثيرة. قيل: العقل الوقوف عند مقادير الأشياء قولًا وفعلًا، وقيل: النظر في العواقب. وقال النبي صلى الله عليه وسلّم: " ما اكتسب ابن آدم أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى " . (1)

جاءت الدراسة لتضيف بحثًا مغايرًا يأخذ بالإنسان الجادّ إلى إمكانيّة الوصول إلى ما يريد من الأطباع التي تعينه على الارتقاء بالذات؛ بل تعينه على أكثر من ذلك وأعني محاولة فهم الذات والوقوف على قوّتها وطرق رياضتها، فالإنسان هو المخلوق الدائم البحث عن نفسه، وهو من يعطي القيمة الحقيقية للحياة. وعليه، انفتح البحث على المدارس الفلسفيّة المختلفة، مع استزادة من علم النفس وعلم النفس الثقافيّ وعلم النفس المعرفيّ والتاريخ والتراث الإنسانيّ الذي يخدم فكرة البحث. فمعرفة الذات أو النّفس ومكامنها أسمى غايات البحث. وكما كتب مونتين: " أكبر شيء في هذا العالم هو أن تعرف كيف تكون ". (2)

إنّ المعرفة ميلٌ في الطبيعة الإنسانيّة ومتعة نوليها حواسّنا،

1) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - لأبي القاسم الأصفهاني - تحقيق د. رياض عبدالحميد - دار صادر - بيروت - ط 3 -2012- -ج1 - ص : 17

2) مقال في الإنسان - مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية - إرنست كاسيرر ، ترجمة د.إحسان عباس - دار الروافد الثقافية - ناشرون - بيروت - ط 1 2020- ص : 25

وهـي مبحـث الفلاسـفة والعقـلاء وعلـماء النفـس والأديـان إلى يومنـا. إلى ذلـك، تـمّ اختيـار الموضوعـات المتعلقـة بالوصـول إلى معرفـة الموهبـة والعبقريّـة الإنسـانيّتين، وكيفيّـة الوصـول إلى معناهمـا الحقيقـيّ. وذَلِكُـمْ مـا جعلنـا نقـف عنـد معنـى العقـل وعلاقتـه بالجسـد والأفـكار والحـدس والانضبـاط والأخـلاق واللغـة، وكيفيّـة أو إمكانيّـة إصلاحـه.[3]

وإلى جانـب مـن عُـرِف بالعبقريّـة، هنـاك القـادة الذيـن غـيّروا ويغـيّرون العـالم بأعمالهـم الكبـيرة وليـس مـن خـلال أفكارهـم أو تعبيرهـم عـن عواطفهـم، ذلـك بأنّهـم تركـوا علامـة فارقـة في المسـار الـذي أخـذه التاريـخ. لنصـل إلى أنّ هـؤلاء الأفـراد البارزيـن مـن المبدعـين والقـادة عـلى حـدّ سـواء يشـتركون في امتلاكهـم خاصيّـة العبقريـة. الواقـع أنّ طريقـة التعـرف عـلى العبقريّـة في أي شـخصيّة هـي التمعّـن في تلـك الإنجـازات التـي كان لهـا تأثـير نـادر الحـدوث في الأجيـال المعـاصرة أو التاليـة، أي إنّ العبقريّـة تُعْـرَف بالإنجـاز. [4]

3) تناولـت دراسـات كثـيرة الأشـخاص الذيـن صنعـوا الفـرق بـين تاريـخ قـوم وتاريـخ قـوم آخريـن، وقدمـوا ذلـك التأثـير بعقولهـم في شـتّى الميادينـ: سـواء في الموسـيقى أو في الشّـعر أو التحليـل أو الكتابـة الإبداعيـة أو غيرهـا مـن مجـالات التغيـير والتأثـير ، كآينشـتين و فرجينيـا وولـف وغـاني وموتسـارت وفرويـد ، ووصلـت النظريـات إلى الربـط بـين حجـم المـخّ وبـين العبقريـة. للاسـتزادة راجـع: العبقريـة والـذكاء والإبـداع – د. عبدالهـادي مصباح – الـدار المصريـة اللبنانيـة – 2006 – ص: 25 - 43

4) العبقريـة والإبـداع والقيـادة – ديـن كيـث سـايمنتين – ترجمـة د. شـاكر عبدالحميـد – سلسـلة عـالم المعرفـة- الكويـت - 1993م –ص: 13و14

وعلينا أن ندرك أنّ كلّ ما يصيب الإنسان من الخارج عدمٌ وفراغ ، فجوهره لا يعتمد على الأمور الخارجيّة، وإنما يعتمد كلّيًّا على القيمة التي يمنحها لنفسه، وتلك قوّة راسخة لا تتزعزع بتغيّر الخارج. إذًا، البحث عن الذات حقّ وواجب إنسانيّ، ولا يمكن البحث في الذات إلا عند الوقوف في أهمّ ما يميز الذات من غيرها من الخلائق ألا وهو « العقل ». لذا كان الأجدر أن نقف مع العقل وأن نفهمه في ذاته ومن ثم في علاقته بغيره من الأشياء. وهذا الوقوف ما هو إلا محاولة من أجل إعمال الفكر وإثارة الأسئلة واستشراف العلاقة بين الموهبة والعبقريّة.

أوّلًا : المفهوم بين الموهبة والعبقريّة

الموهبة والعبقريّة في اللغة:

الموهبة: الهبة بكسر الهاء وهي العطيّة، وتواهب الناس بينهم ، وفي حديث الأحنف : «ولا التواهب فيما بينهم ضَعَة»، يعني أنهم لا يهبون مُكرهين. (5)

العبقريّة: قال ابن الأثير: «عبقر قرية تسكنها الجن فيما زعموا ، فكلما رأوا شيئًا فائقًا غريبًا مما يصعب عمله أو شيئًا عظيمًا في نفسه نسبوه إليها، فقالوا: عبقريّ، ثمّ اتُّسِع

5) لسان العرب لابن منظور - مادة وهب - دار صادر - بيروت - طبعة رابعة 2005 - ص : 228 - ج 15

فيه حتى سُمّي به السيد والكبير، ويقال: رجل عبقري أي كامل، وأصل العبقري صفة لكل ما بولغ في وصفه، وعبقريّ القوم سيّدهم». [6]

استُخدِم مصطلح الموهبة في ستينيّات القرن الماضي، وقيل فيه: الموهوبون هم الّذين يتفوّقون في قدرة أو أكثر من القدرات الخاصّة. ورفض الكثيرون استخدام المصطلح بهذا المعنى لأنّه يستند إلى العوامل الوراثيّة، لتظهر تيّارات جديدة تؤكّد أنّ الموهبة تُفيد درجة من الذكاء، وتمتد إلى مجالات الحياة المختلفة، وترتبط بالظروف التي تقوم بتوجيه صاحبها إلى استثمار ما لديه من مقوّمات. فمن يمتلك الموهبة هو من لديه الاستعداد ليصبح منتجًا للأفكار البشريّة التي تجهد في تدعيم الحياة البشريّة أخلاقيًّا وعقليًّا وعاطفيًّا واجتماعيًّا. وخصائص الموهبة تشمل المرونة العقليّة والرغبة والبراعة في الاكتشاف وحبّ الجمال والموضوعيّة والحافز الداخليّ، وربطها بعض الباحثين بالمستويات المرتفعة من التفكير الإنتاجيّ والتفكير التقويميّ على نحو يسمح لهم بالوصول إلى القدرة على حلّ المشكلات وتقويم الثقافة إذا ما توافرت الظروف

6) لسان العرب لابن منظور - مادة عبقر ، دار صادر - بيروت طبعة رابعة 2005 - ص : 17و18 - ج 10 -

المناسبة[7]. وتُعَدّ الموهبة المنفذ الذي تسعى إليه المجتمعات التي تريد أن تُسَطِّر لها تاريخًا بين الأمم، وأن يكون لها إسهامها في الحضارة الإنسانيّة. [8]

أمّا مفهوم العبقريّة في العصر الحديث فيكاد يرتبط ارتباطًا حصريًّا بألبرت آينشتاين، ذلك الرجل الذي كان لبصيرته الفطريّة الإبداعيّة النفّاذة إلى طبيعة المكان والزمن، أثرها في تغيير مداركنا بعمق عن العالم. الواقع أنّ إطلاق صفة العبقريّة على آنشتاين أو غيره اعتراف منّا بما يتمتّع به من قوى إبداعيّة غير عاديّة. بيد أنه يتبقى شيء يتعذّر تفسيره أساسًا عن طبيعة مثل هذه القوى المذهلة، كما نعزو الخاصيّة غير العادية كذلك لشعر شكسبير وموسيقى موتسارت وتصوير ليوناردو التي لم تكن ببساطة نتيجة التعلّم أو التقنية أو الجهد الشاقّ وحسب. لذا نجد التعريفات تبيانت حول العبقريّة. ففي معجم أكسفورد الإنجليزي نجد أنّها القوّة الفكريّة الفطريّة التي تكون من نمط رفيع كتلك التي تُعزى إلى من يعتبرون أعظم

7) الموهبة وإشكالية تداخل المفاهيم - دطالب محمود ياسين الخفاجي و د.علاء صاحب عسكر- مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية - مجلد 22 - عدد 12 - جزء أول - كانون الثاني - 2015 ص: 45- 53

8) وفي الموهبة وخصائصها ومجالات ، أنظر أكثر في : القيادة الإبداعية للموهوبات - عائشة حسن أحمد البوعينين - دار المسيلة - الكويت - ط 1 ص : 15- 22

المشتغلين في أيّ فرع من فروع الفنّ أو التأمّل أو التطبيق، ذلك أنّها طاقة فطريّة وغير عاديّة على الإبداع التخيُّليّ أو الفكر الأصيل أو الابتكار أو الاكتشاف، فضلًا عن أنّها تختلف كثيرًا عن الموهبة. وبعد، يرتبط مصطلع العبقرية بالإبداع والأصالة ارتباطًا وثيقًا يعود إلى القرن الثامن عشر، حين اكتسبت الكلمة لأوّل مرة معناها المألوف الحديث والمحدَّد آنفًا. إلا أنّ تاريخ فكرة العبقريّة ليس تاريخًا للكلمة، ذلك بأنّ امتلاكَ أفراد معيَّنين قوى خلّاقة لهي فكرة تضرب بجذورها في الأدب والفكر في عصر سابق على ذلك. إلى ذلك قرن اليونان العبقريّة بالطبّيعة الغامضة لقدرات الإنسان الخلاقة، لا سيّما في ما يتعلّق بالشّعر، فمنذ أقدم العصور والشّعراء يدعون أنهم يتلقّون إلهامًا مُقَدَّسًا. ولقد كان لمذهب أفلاطون في الإلهام الشعريّ، باعتباره نوعًا من الجنون أو الحماسة، أثره في تكوين اعتقاد نشأ في الثقافة الغربيّة لأوّل مرّة مفاده أنّ العمليّة الشّعريّة عمليّة غير عقلانيّة. وبقي هذا الاعتقاد موضعَ اعتبار لعدة قرون تالية بتكوين بعض الانطباعات التي ارتبطت فيما بعد بفكرة العبقريّة[9]. ويعني كذلك تمام الصّنعة إلى منتهى

9) العبقرية – تاريخ الفكرة- ترجمة محمد عبدالواحد محمد – تحرير بينيلوبي مرْي – عالم المعرفة 208 – الكويت – 1996 ص : 13- 20

الكفاءة والإبداع أو وصول المراد بعلم وقدرة ونظام. وفي علم النفس تُرادف النبوغَ نسبةٌ محدّدةٌ من حاصل الذكاء، علاوة على أنّ تمتّع الفرد بقدر من الذكاء عالٍ يساعده في تحقيق منجزات باهرة في حقل من الحقول. وبهذا المعنى تكون عناصر العبقريّة هي الأصالة والإبداع والقدرة على التفكير في مجالات لم تُسْتكشف بعد.[10]

الواقع أنّ العبقريّة وعلاقتها بالمجتمع تجعلنا نُغيِّر طريقتنا في فهم الأشياء. فللعباقرة القدرة على القيام بردٍّ فعلٍ إبداعيٍّ منتج في مقابل الممارسة التي تعوَّد عليها الفرد. والحال أنّ عبقريّة الفنّان تشبه درجات الحرارة شديدة الارتفاع التي لها القدرة على تفكيك تجمّعات الذرات ثم تجميعها مرة أخرى في ترتيب مختلف يُطابق نمطًا آخر[11].

إذًا، ذهب الباحثون إلى تعدّد مكوّنات الموهبة واتّفقوا على أنّ العبقرية أسمى درجة، بالنّظر إلى أنّها قوّة فكريّة فطريّة، وذات علاقة بالإبداع التخييليّ[12]. لكننا من خلال

---

10) الذكاءات المتعددة واكتشاف العباقرة – ياسر بهاء الدين – دار عالم الثقافة –القاهرة - ط1 – 2017 –ص : 120 122-

11) العبقرية – تاريخ الفكرة- ترجمة محمد عبدالواحد محمد – تحرير بينيلوبي مرّي – عالم المعرفة 208 – الكويت – 1996 ص : 286

12) إدارة الموهبة والإبداع – إعداد نخبة من الخبراء المتخصصين- دار التعليم الجامعي – الاسكندرية – 2016 – ص: 1

الوقـوف عـلى المعـاني التـي ذهـب إليهـا الباحثـون إلى التفريـق بـين المصطلحـين والوقـوف عـلى نقـاط الـبرزخ بينهـما، نجـد تقاربًـا بينهـما، بـل صعوبـة في الفصـل بينهـما، إذ إنهـما طريقـة تقويـم الحيـاة والبحـث عـن نوافـد لاخـتراق تحدياتهـا بأنجـع الطـرق، فضـلًا عـن أنّهـما يتوافقـان في طريقـة التخييـل الإبداعـيّ والتأمُّـل والموضوعيّـة، ناهيـك بإمكانيّـة الوصـول إليهـما بالتمـرُّس والرياضـة الذاتيّـة. وهـذا يتطلّـب البـدء مـن العقـل، أي مـن السّـلوكَين الـذاتيّ والاجتماعـيّ الموافقَـين إداركـه. وعليـه، سـنحاول الوقـوف عـلى كيفيّـة الوصـول إلى ذلـك الفكـر التقويمـيّ القـادر عـلى حـلّ المشـكلات، والمتمتِّـع بالانضبـاط والتحفيـز الداخـليّ. غالبًـا مـا نجـد الآخريـن يُفسِّرون إنجازاتهـم ببسـاطة مـن خـلال عـزو كلّ شيء إلى الموهبـة، وهـذه طريقـة خاطئـة مُضلِّلـة بشـأن النظـر إلى النجاح، فالنـاس متسـاوون مـن حيـث القيمـة وليسـوا متسـاوين بالمواهـب. مـع ذلـك كلّ منـا لديـه شيء مـا يمكنـه أن يقـوم بـه بطريقـة جيّـدة، وهـو مـا يتطلّـب الكشـف عـن مَوَاطـن القـوّة. والكشـف عـن ذلـك يتطلّـب معرفـة الـذات والنفـس والعقـل، واتخـاذ الخيـار الصائـب عـلى أسـاس القـدرات، والعمـل عـلى تمكينهـا إمّـا بالموهبـة أو العبقريـة أو بـكل بسـاطة بحُسْـن

الإنجـاز وإدارة المواقـف والمشـاعر بنجـاح .

ثانيًا: مفهوم ملكة العقل

« إِنَّـــا عَرَضْنَـــا ٱلْأَمَـانَـــةَ عَلَـــى ٱلسَّـمَٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱلْـجِبَـــالِ فَـأَبَـيْـنَ أَن يَـحْمِـلْـنَـهَـــا وَ أَشْـفَـقْـنَ مِـنْـهَـــا وَحَـمَـلَـهَـــا ٱلْإِنسَـٰنُۖ إِنَّـــهُ كَـانَ ظَـلُـومًـــا جهـــولًا» (الأحـزاب 72) فسّرهـا بعـض المفسّريـن بأنهـا العقـل، لأنّ العقـلَ منـاطُ التشريـع ومحـطّ المسـؤولية، كـما أنّ العقـلَ أرفـعُ الملـكات التـي وهبهـا الله للإنسـان. عـلاوة عـلى ذلـك، نجـد الكثـير مـن الآيـات في القـرآن الكريـم التـي ترفـع قيمـة العقـل وتبـيّن عـدم اسـتواء الذيـن يعلمـون والذيـن لا يعلمـون، كـما حظـي مفهـوم العقـل باهتـمام معظـم الفلاسـفة والعلـماء والأدبـاء، فمـضى كلّ منهـم يحـاول تفسـيره بنـاء عـلى المنهـج الـذي ينتهـج ، والمذهـب الـذي يذهـب إليـه؛ إلا أنّ معظـم التفسـيرات ذهبـت إلى أنّ العقـل عبـارة عـن مجموعـة مـن الاسـتعدادات والقـدرات العقليّـة والفكريّـة والعـادات الذهنيـة كـما أنّـه يمثّـل مجموعـة مـن الاعتقـادات الأساسـيّة لـدى فـرد مـن الأفـراد أو مجتمـع مـن المجتمعـات.[13] والنظـر إلى

13) مفهـوم العقـل في الفلسـفي - د. ابراهيـم مصطفـى ابراهيـم - دار النهضـة العربيـة - بـيروت 1993 - ص : 7و 8

العقل من هذا المنظور على أنّه مجموعة من الاستعدادات والعادات الذهنيّة تجعل الفرد يدرك آليّة التحكّم العقليّ بما يريد الوصول إليه، ذلك بأنّ الطبائع كالموهبة والعبقريّة والمرونة والتكيّف والشّعور بالرضا والسّعادة وغيرها، ما هي إلا مجموعة من القدرات الفكريّة التي تستمر مدّة من الزّمن، وتصبح طبائع لازمة لصاحبها؛ فالخطوة الأولى للوصول إلى المعرفة تكمن في فهم آليّة عمل هذا العقل، إذ يُعَدّ بمثابة مفتاحٍ لكل الكنوز المعرفيّة إن أحسنّا فهمه. بعبارة أوضح، إذا استخدمنا قدرات العقل الكامنة، فإنّنا نتمكّن من الوصول إلى البقعة الحلوة المنشودة ونعني تلك الثقة الذاتيّة، والإيمان بقدرة النّفس على تشكيل صورة واضحة للهدف المرجوّ.

إنّ العقل جزء من الإنسان وليس هو كلّ الإنسان، أي إنّه جزء من وجوده وليس كلّ وجوده، وجزء من كينونته وليس هو كلّ كينونته، وجزء من حقيقته وليس كلّ حقيقته، فهو لا يُعبِّر عن حقيقة الذات بكاملها، ولكن يمكن الاقتراب من معرفته من خلال النيّة والقصد، ومن خلال ما يتحوّل منه إلى عمل ووقائع وأحداث وعلاقات في الواقع الذي هو شأن الإرادة، إذ من شأن النفس أن

تُحَدِّد ما تريد فعله وتحقيقه منه في الواقع، وليس من شأن العقل نفسه.

فالعقل رغم أهميّته للإنسان، ورغم كلّ ما يُقَدِّمه من أفكار ومفاهيم وتصوّرات وأحكام وكيفيّات تنظيريّة مجرّدة، يُعَبِّر عن جانب وعن بعد من أبعاده وحسب، ونعني الجانب العقليّ الذي به يعي ويفهم ويدرك ويفكِّر ويتأمّل ويحلِّل الأشياء والظواهر والعلاقات ويستنبط طرقَ العمل وكيفيّاته، فضلًا عن الإنتاج والبناء، ولكنّه لا يملك تحويل أيّ من ذلك إلى واقع متحقِّق من دون مشيئة النّفس. وهذا لا يُهمّش أهميّة العقل بل يُبيِّن أنّ النفس هي التي تريد وتختار وتفعل ما تريد، سواء وافق الاختيار منطق العقل أو خالفه، وهذا هو سرّ حياد العقل واستقلاله عن النفس في حكمه ومنطقه، وفي مصدر تقويمه أفعالها وسلوكها. (14)

وتتمثّل أهميّة مَلكة العقل بأنها تُفَسِّر لنا ثلاث أفكارٍ هي: فكرة الله، وفكرة النفس، وفكرة العالم؛ فمَلكة العقل تجمع عددًا من التصورات وتُكَوِّن تجربة بعينها. بهذا المعنى، يستلزم العقل المبدأ الذاتيّ الموجد للتجربة،

14) الإنسان ليس عقلا - سالم القمودي - مؤسسة الانتشار العربي - لبنان - ط 1 - 2001 - ص" -57 60

والتجربة تتطلب مبدأً موضوعيًّا موحِّدًا هو العالَم، ويختلف عالم الموضوعات عن الأنا أي يختلف عن الذات. علاوة على ذلك، يضع العقل قوانين الطبيعة التي عن طريقها ندرك الصورة الكليّة للطبيعة معرفة أوّليّة لا بُدّ منها لإتمام عمليّة المعرفة التجريبيّة، أي إنّه يقوم بدور إيجابيّ في عمليّة المعرفة. [15] ولا يمكن الوصول إلى المعرفة إلا بإعمال الدور الحقيقيّ للعقل عن طريق مبدأ « الشكّ » ، فالإنسان يكون في شكّ حيال قضيّة مُعيّنة حينما يمتنع عن قبول هذه القضية ونقيضها، أمّا إذا اصطنع الباحث الشكّ منهجًا للتفكير فافترضه بإرادته ليخلِّص عقله من معلوماتٍ توطئةً للتفكير فيها بنفسه من دون أن يتأثر بحثه بالمعلومات السّابقة، كان هذا الشكّ منهجًا للتفكير، وهو الذي يمثِّل الشكّ الابستمولوجيّ. أمّا إذا انصبّ الشكّ على معتقدات الناس أو التسليم بها فيكون هذا بمثابة إنكار. وبعد، ينقسم الشكّ المنهجي إلى قسمين: الشك البيرونيّ والشكّ الاحتماليّ. فالأوّل شكّ مطلق وهو الذي ينكر إمكان التوصّل إلى حقائق الأشياء لافتقار الإنسان إلى أداة إدراك

15) مفهوم العقل في الفلسفي - د. ابراهيم مصطفى ابراهيم - دار النهضة العربية - بيروت 1993 - ص : 108

صحيحة. فالعقل أو غيره من أدوات الإدراك يدرك ظواهر الأشياء ولا يعرف حقيقتها، والحقائق نسبيّة وليست مطلقة، والحكم مُعَلَّق والحجج متعادلة[16]. وهو ما يقوم به مبدأ الشّك عند الفلاسفة في عدم الأخذ بالأمور والأشياء على أنها مسلَّم بها، وإلا ستقبع الذات في نفس الدائرة من دون الخروج منها. وعلم النفس تطرّق لهذا الأمر في نظريات عديدة، عندما بيَّن أنّ الخروج لفضاءات جديدة يتطلّب إيمانًا بإمكانات العقل الكامنة، ففي معظم الأحيان نرى ما هو موجود، وليس ما يمكن أن يكون. ولقد أشار المخترع توماس أديسون إلى أنّنا: لو فعلنا كلّ الأشياء التي نحن قادرون على القيام بها، لأذهلنا أنفسنا فعليًّا». [17]

ثالثًا: العقل في الفلسفة [18]

مرَّ العقل كما يمرّ الإنسان ذاته، وكما تمرّ الحضارات، بفترات نموٍ متعاقبة مثَّلت صورته البسيطة أو صورته

16) نقد العقل بين الغزالي وكانط - دراسة تحليلية - مقارنة - د . عبدالله محمد الفلاحي - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع -لبنان - ط 1 --2003 ص: 16 و 17

17) ما بعد الموهبة - جون سي ماكسويل - ترجمة عماد إبراهيم عبده - الأهلية للنشر والتوزيع - الأردن ط1-2018 - ص : 18

18) وفي معرفة مفهوم العقل أكثر لدى الفلاسفة: هوميروس - الفيثاغوريون - هرقليطس - أمباذوقليس -دموقريطس -
انكساغوراس - سقراط- أفلاطون - أرسطو / أنظر مفهوم العقل في الفلسفي - د. ابراهيم مصطفى ابراهيم - دار النهضة العربية - بيروت 1993من ص 49 - إلى ص 66

البدائيّة. تعود جذور مفهوم العقل إلى الفلسفة اليونانيّة الخصبة، بل إلى قبل ظهور الفلسفات الكبرى على يد سقراط وأرسطو. ويُعَدّ أنكساغوراس المهد الحقيقيّ، والمنبع الأصيل لمفهوم العقل، ذلك بأنّه جعل العقل محكّ المعرفة الأساسيّ. قل كذلك عن أفلاطون الّذي جعل العقل الإنسانيّ محطّ المعرفة، وأرجع الانطباعات الحسيّة إلى الجسد الإنسانيّ الّذي يتّصف بالفناء. فالعقل هو الذي يقوم بتحويل الخبرات الحسيّة إلى أفكار أو صور أو ما يسمّى « الحدس ». فالحدس بهذا المعنى ملكة العقل وعليه تقوم نظريّة المعرفة. ولم يكن ظهور المذهب العقليّ الحديث ظهورَ طفرة، بل كانت مقدّماته في الصراع الذي نشب بين الفلسفة والدين، أي بين العقل والنقل، واتساع النزعة الشكية التي باتت تهدّد صرح « المعرفة » وتحاول هدمه لكي تسود. (19)

وأوّل ما تجب ملاحظته أنّ القرآن الكريم لم ترد فيه مفردة « العقل » بصيغة الاسم، ولكن وردت صيغة « يعقلون » ومثلها يفقهون ويبصرون، «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي

19)مفهوم العقل في الفلسفي - د. ابراهيم مصطفى ابراهيم - دار النهضة العربية - بيروت 1993 - ص : 9

الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» الحج 46، والآية: «لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» الأعراف 179.

ففي الآيتين استندت الوظائف إلى القلب، فهو يعقل وهو يتفقّه، كما أنّ الأذن تسمع والعين تبصر. لكنّ بَصَرَ القلب أعلى من بصر العين، إذ إنّ القلب هو الذي يتحكّم بالمبصر والمسموع فيحوِّله إلى معقول ومفقوهٍ أو يتقاصر دون التعقل والتفقه والتبصّر. وهذه ثلاث وظائف للقلب، إضافة إلى وظيفة التأويل لتتّحد الوظائف الأربع في تجاورِها الدلاليّ والاستباطيّ بما هي تفكُّر في الكون، وتدبّر علاماته، وتفقّه في المعاني والدلالات، وتبصّر بتأويلها. ومن أجل اكتساب مهارة التأويل لجأت الثقافة الإسلاميّة إلى استنباط علمين من علوم التأويل ومناهج الاستنتاج وقراءة النصوص والتبصر بمدلولاتها في علم أصول التفسير وأصول الفقه بوصفهما منهاجين في صناعة التأويل، ومن ثم التفقّه وعقلنة المسموع والمبصر في النصوص وفي الكون

وفي الـذات. [20]

كـما أورد الجرجـاني بضعـة تعريفـات للعقـل ومنهـا: «العقـل جوهـر مجـرَّدٌعـن المـادة، مقـارن لهـا في فعلـه، وهـي النفـس الناطقـة التـي يشـير إليهـا كلّ أحـد بقولـه: أنـا». [21]

الحـقّ أنّ فلاسـفة المعتزلـة سـبقوا ديـكارت حـين أعلـوا مـن شـأن العقـل وجعلـوه يُـدْرِك علـل الشّرائـع؛ بـل ويـدرك الخـير والـشّرّ قبـل ورود الرسـالات السـماويّة، أي إنّ العقـل فطـريّ أو جُبـل عـلى الفطـرة بحيـث يـدرك مـن دون إرشـاد الخـير والـشرّ، والتمييـز بـين الحـقّ والباطـل، والغـثّ والسّـمين، كـما اسـتخدم أبـو حامـد الغـزالي منهـج الشـكّ المنهجـيّ للوصـول إلى الحقيقـة، وهـو عينـه المنهـج الـذي انتهجـه ديـكارت مـن أجـل تشـييد نسـق فلسـفيّ حديـث يقـوم عـلى أسـس عقليّـة تدحـض ظـلال الشـكّ السـائد. وفلسـفة العـرب تـولي العقـل أهميّـة كـبرى، فهـذا الجاحـظ يقـول: «فـلا تذهـب إلى مـا تريـك العـين، واذهـب إلى مـا يريـك العقـل». امتـدّت النزعـة العقليّـة إلى الأدب، وبخاصّـة الشّـعر، فهـا هـوذا أبـو العـلاء المعـريّ

20) السرديـة الحرجـة ، العقلانيـة أم الشـعبوية - د. عبداللـه الغذامـي - المركـز الثقـافي العـربي - المغـرب - ط 1 2020 - ص : 11و 12

21) المرجع السابق - ص : 14و 15

يقـول:

فشـاور العقـل واتـرك غـيره هـدرًا فالعقـل خـير مشـير ضمّـه النـادي

يرجـع هـذا التقـارب بـين الأفـكار الغربيّـة والعربيّـة إبـان عـصر النهضـة والتنويـر إلى أنّ العلـوم والفلسـفة والأدب قـد انتـشرت في أوروبـا عـلى أيـدي المسـتشرقين وبعـض الحـكّام الغربيـين مـن أمثـال فريدريـك الثـاني حاكـم صقليـة الـذي أصبـح امبراطـور ألمانيـة العـام 1215 م. وقـد كانـت هـذه العلـوم تُـدرس بشـغف في قـصره في (بالرمـو)، وبذلـك أصبحـت في متنـاول اللاتينيـين، فضـلًا عـن أنّـه أهـدى ترجمات مجموعـة مـن الكتـب الفلسـفيّة لجامعـات بولونيـا وباريـس. في سـياق آخـر، نـادى بعـض المفكّريـن بتعلـم اللّغـة العربيّـة مـن أجـل إنجـاح حمـلات التنصـير، إلا أنّ هـذه الدعـوات أفـادت في ازدهـار العلـوم والفلسـفة والأدب، وتـم إنشـاء أوّل كـرسيّ للغـة العربيـة في « الكوليـج دي فرانـس « العـام 1539م »، وفي الحقبـة نفسـها جعـل المسـتشرق تومـاس أربينـوس هولنـدا مركـز الصـدراة في الدراسـات العربيّـة في أوروبـا لمـا يقـرب مـن قرنـين مـن الزمـان[22]. وهـذا التقارب يُعَدّ دليلًا حتى

22) مفهـوم العقـل في الفلسـفيي - د. ابراهيـم مصطفـى ابراهيـم - دار النهضـة العربيـة - بـيروت 1993 - ص : 10و 11

عند أصحاب الفكر الفلسفيّ على أهمية قابلية التعلّم والمرونة، والتي تُعَدّ الأساس في ترسيخ مبدأ الموهبة أو العبقريّة الفكريّة إن صحّ التعبير. فقابليّة التعلّم لا تتعلّق كثيرًا بالكفاءة والقدرة الذهنيّة بقدر ما تتعلّق بالموقف. إنه بمثابة النهم للاكتشاف والنمو، وإلا لما تم تدريس تلك العلوم ولما تمّت الترجمات التي يستند إليها الباحثون إلى اليوم. فأيًّا تكن الموهبة فإنها تتوسع باستمراريّة التعلّم، فالأشخاص الموهوبون هم من يتمتّعون بقابليّة التعلّم.

إنّ جعل العقل السلطة العليا في حياة الإنسان أفرادًا ومجتمعات أكسبه منزلة عالية، وجعل منه حالة من حالات الميتافيزيقا. والحقّ أنّ هذه المكانة ليست وليدة الاكتشافات العلميّة والتكنولوجيّة الحديثة، بل مقولة توارثها الكثير من الناس من أيّام الإغريق. فالعقل في نظرهم هو الذي أوجد لنا المنظومة الأخلاقيّة والأعراف الاجتماعيّة والقيم الحضاريّة، حتى قامت مدارس فكريّة معاصرة أخذت تشكّك في سلطته وطاقته، وأنزلته مع غيره من الآلات الحسيّة والشعوريّة في الإنسان، لا سيّما أنّ هذه الآلات تلعب دورًا في العمليّة التفكيريّة والحركة العقليّة، وهذا ما عبَّر عنه تيّار ما بعد الحداثة ومدارسه المختلفة

مـن مدرسـة فرانكفـورت، والنظريـة التفكيكيّـة، وغيرهمـا. [23]

ومـن الفلاسـفة مـن جعـل المعرفـة العقليّـة مقدِّمـة للفضيلـة ذلـك بـأنّ الإنسـان إذا علـم الفضيلـة عمـل بهـا. في هـذا السّـياق، يـرى أفلاطـون أنّ العقـل موجـدُ الفضائـل والأخلاق، والجهـلَ سـببُ الابتعـاد عـن الفضائـل واجتنابها والاقـتراب إلى سـلوك. أمّـا أرسـطو فيؤكِّـد أنّ القيـم والأخـلاق مسـتقلة عـن العقـل وبالـكاد يسـتطيع بعـض العلـماء أن يمارسـوا الفضيلـة. وكان مـن علـماء المسـلمين وفلاسـفتهم وفقهائهـم مـن ذهـب في تفسـير العقـل مذهبًـا آخـر، فزعمـوا أنّ العقـل ليـس جوهـرًا وإنـما هـو عـرض أو صفـة وفعـل، وهـو ليـس ذاتًـا مسـتقلّة عـن الجسـد، بـل ممارسـة وفعـل وإدراك، وأن القـرآن الكريـم لم يذكـر كلمـة « عقـل » كاسـم ومصـدر ولـو مـرّة واحـدة، ولكنـه اسـتعمل الممارسـة العقليّـة، أي العمليّـة العقليّـة التـي تعقـل الأمـور أو تتفكـر بهـا وتتدبّـر وتتأمّـل.[24] إذا كان العقـل فعـلًا وممارسـة فإنّـه ينمـو ويكـبر في بيئـة بمقتـضى الأدب والثقافـة والمنظومـة القيميّـة والأخلاقيّـة التـي تُمثِّـل الفضـاء الفكـريّ والثقـافيّ والأدبيّ لهـذه البيئـة. فنجـد الإمام الفيلسـوف

23) مفهـوم العقـل ، الحداثـة ومابعـد الحداثـة – محمـد سـعيد ريـان – مركـز الحضـارة العربيـة – القاهـرة – ط1 2012 – ص :80-82

24) المرجع السابق – ص : 35و36

أبــو حامــد الغــزالي يُعَــرِّف العقــل بأنّــه ينقســم إلى غريــزيّ ومكتســب. فالغريــزيّ هــو القــوة المســتعدّة لقبــول العلــم ووجــوده في الطفــل كوجــود النخلــة في النــواة، وأمّــا العقــل المكتســب المســتفاد هــو الــذي يحصــل مــن العلــوم، فالنفــس كالفــارس والبــدن كالفــرس، وعمــى الفــارس أضرّ مــن عمــى الفــرس، « فإنهــا لا تعمــي الأبصــار ولكــن تعمــي القلــوب التــي في الصــدور » الحــج 46. وإنّ الأخــلاق في حقيقتهــا مســؤوليّة ذاتيّــة؛ بــل إنهــا مــن أهــمّ المســؤوليّات التــي وجــب عــلى النفــس أن تلتــزم بهــا، وهــي أوّل خطــوات الانضبــاط الــذاتيّ. ولا شيء يضيــف عضــلات للموهبــة مثــل المســؤولية، إنهــا تنهــض بهــا إلى مســتوى جديــد وتزيــد مــن قــوّة احتمالهــا، وســمة النجــاح تكمــن في القــدرة عــلى تــولي المســؤولية الأخلاقيــة قبــل أي نــوع آخــر مــن المســؤوليات .

تنقسم المعارف البشريّة إلى طائفتين:

الطائفــة الأولى: معــارف ضروريّــة أو بديهيّــة. ونقصــد بالــضرورة هنــا أنّ النفــس تضطــرّ إلى التّســليم بقضيّــة معينــة مــن دون أن تُطالــب بدليــل يُبرهِــن صحّــة هــذه القضيّــة، بــل تجــد مــن الــضروريّ أن تؤمــن بهــا إيمانًــا غنيًّــا عــن كلّ بينــة وإثبــات، كإيمانهــا مثــلًا بــأن النفــي والإثبــات لا يصدقــان معًا في

شيء واحد، وأنّ الكل أكبر من الجزء وهكذا.

الطائفة الثانية: معارف ومعلومات نظريّة. ونقصد أنّ هناك جُملة قضايا لا تؤمن النّفس بصحتها إلا في ضوء معارف ومعلومات سابقة، ليتوقّف صدور الحكم منها على عملية التفكير واستنباط الحقيقة من حقائق أسبق وأوضح منها، مثال ذلك أن الفلزات تتمدد بالحرارة، والمادة تتحول إلى طاقة، وما إلى ذلك من قضايا الفلسفة والعلوم.

فالمذهب العقليّ يوضح أنّ الحجر الأساس للعلم هو المعلومات العقليّة الأوليّة، وعلى ذلك تقوم البِنْيَات الفوقيّة للفكر الإنسانيّ التي تُسَمّى بالمعلومات الثانويّة، أمّا العمليّة التي تستنبط بها معرفة نظريّة من معارف سابقة هي العمليّة التي يطلق عليها اسم الفكر والتفكير. فالتفكير جهد يبذله العقل في سبيل اكتساب تصديق وعلم جديد من معارفه السّابقة. وإذا لم تكن القضيّة من الأوليّات العقليّة فإنّ الإنسان يتردّد في إصدار الحكم والإذعان، ويلجأ حينئذ إلى معارفه السّابقة ليجد فيها ما يمكن أن يركّز عليه حكمه. ويؤمن المذهب العقليّ لأجل ذلك بقيام علاقة السببية في المعرفة البشرية، أي إنّ كلّ معرفة إنما تتولّد من معرفة سابقة، وهكذا حتى ينتهي التسلسل الصاعد

إلى المعارف العقليّة الأوليّة التي لم تنشأ من معارف سابقة، ولهذا تعتبر العلل الأولية على نحوين: أوّلًا، ما كان شرطًا أساسيًّا لكلّ معرفة إنسانية بصورة عامة كمبدأ التناقض مثلًا، وثانيًا: ما كان سببًا لقسم من المعلومات وهو سائر المعارف الضرورية الأخرى التي تكون كلّ واحدة منها سببًا لطائفة من المعلومات[25].

وعلى الفكر الموهوب - أو العبقريّ - أن يعيَ الطرق المتّبعة لإعمال العقل والفكر أوّلًا، حتى يعي أنّ هناك طريقًا آخر وجب أن يُتّبع، وهو طريق الانفتاح على أفكار تطير فوق المعارف السّابقة، وهو ما يحتاج إلى تولي زمام المبادرة التي تُفعّل النّجاح أو الموهبة أو العبقريّة، فلتسمِّها ما شئت، ولكنّ الإنجاز هو الأساس، ومزاولة البحث وتوقه هما ما جعلا الخيال حقيقة وواقعًا.

وهو ما يرتكز على المثابرة، فالمثابرة ليست مسألة موهبة - أو إبداع أو عبقريّة - وليست مسألة وقت، إنها تتعلّق بالإنجاز، فالموهبة يمكن أن توفِّر أملًا في الإنجاز، ولكنّ المثابرة على الحلم تضمنه. [26]

25) المذهب الذاتي في نظرية المعرفة - السيد كمال الحيدري - دار فراقد للطباعة والنشر - ايران 2005 م - ص : 26- 32

26) مابعد الموهبة - جون سي ماكسويل - ترجمة عماد ابراهيم - الأهلية للنشر والتوزيع - الأردن - ط1 - 2018 - ص : 133

« التخيُّـل الخطـوة الأولى نحـو الإبـداع. سـوف تتخيّـل مـا تشـتهيه، ثـم ترغـب في مـا تخيّلتـه وفي النهايـة تبتكـر مـا رغبـت فيـه». (جـوردج برنـارد شـو).

يُعَـدّ المسـتقبل موضعًـا أفضـل للبـدء منـه، ويتيـح العمـل عكـس التسلسـل الزمنـي اتخـاذ قـرارات أفضـل حـول المجـال الـذي تعمـل فيـه، ومـا الـذي سـوف تسـتثمره وكيفيّـة الابتكار والتجديـد. الواقـع أنّ الرؤيـة التطلعيّـة لا تتعلّـق بالدرجـة الأولى بتخيّـل السـنّوات القادمـة وإنـما مجـرّد التفكـير خـارج الحـدود المألوفـة، والطريـق نحـو هـذا النمـط مـن التفكـير يكمـن في القيـام بوثبـة كبـيرة للأمـام ثـم الرجـوع للخلـف مـن المسـتقبل وتخطـي القيـود. [27]

رابعًا: العقل بين القلب والجسد والقالب

هـذا القالـب جسـد للقلـب، والقلـب جسـد الإنسـان، وحدقتـه التـي يبـصر بهـا العقـل «فَإِنَّهَـا لَا تَعْمَـى الْأَبْصَـارُ وَلَٰكِـن تَعْمَـى الْقُلُـوبُ التـي في الصـدور» (الحـج 46) ، وصـلاح البـدن بصـلاح القلـب . [28]

---

27) عبقريـة الإبـداع – بيـتر فيسـك – ترجمـة د. أحمـد طاهـر ومحمـد حسـن قنـاوي – عـالم الكتـب– ص : 97 و98

28) محيـي الديـن ابـن العـربي – تلقيـح الأذهـان –مـشرف أيمـن حمـدي – والإشراف العلمـي أ.دعـلي جمعـة الـناشر مؤسسـة ابـن العـربي للبحـوث والنـشر –دار الوابـل الصيـب – جمهورية مصر 2020 – ص: 99

لقد تخلّى العديد من الفلاسفة الغربيّين عن فهم العقل على أنّه جوهر متعال وسلطة وحيدة في اقتناء وتشكيل المنظومات المعرفيّة، وأصبحت العواطف والمشاعر والأحاسيس طاقات عقليّة إلى جانب العقل، على أنّه بقيت للعقل تلك المكانة المتفردة والمتعالية بين طاقات العقل المختلفة. فالشّعور أو الإحساس عند راسل هو الذي يحدِّد الأغراض والغايات التي علينا أن نتابعها، وهذه الأخيرة هي التي تُقَرِّر أيّ فائدة نجنيها حين نستغلّ هذه الزيادة الجبّارة في القدرة الإنسانيّة، فالشّعور طاقة مثل طاقاتنا العقلية ، وعلينا- كما يقول راسل - تعميق مشاعرنا وتوسيعها بحيث تصبح كونيّة تتناسب مع التقدّم الفكريّ وعظم الإرادة وحالة العقل. أمّا رأس الحكمة فيتمثّل بوحدة الفكر والإرادة.[29]

«تكمن قيمة الإنسان في أنّه سرّ الوجود وروحه ومعناه، وهو البداية والنهاية، وهو المقصد الأقصى. فقد جمعت صورته من العوالم ما لا يحصى، ومن الرقائق والدقائق والحقائق ما لا يُستقصى. واعلم أنه ذو حركات سعيدة في درجات البركات أو نحيسة في مدارج الدركات، إذ هو ذو

29) مفهوم العقل ، الحداثة ومابعد الحداثة - محمد سعيد ريان - مركز الحضارة العربية - القاهرة - ط1 2012 - ص : 16-18

باطـن لطيـف وظاهـر كثيـف كلّ واحـد منهـما يجـرهّ ليسـتعين بـه عليـه، فأيّهـما مـالَ بـه إليـه كان الحكـم لـه، فاللطيـف منـه دائـر في سـتة بـروج مـن القلـب تعـرف بالـوادي الأيمـن هـي: اليقظـة، والعلـم، والنباهـة، والعفـة، وصـدق السـخاء، والنصيحـة. والكثيـف منـه دائـر في سـتة بـروج تعـرف بالـوادي الأيـسر وهـي النـوم، والجهـل والغفلـة والشّـهوة، والحسـد والحقـد، فهـذه أمّهـات الـشرور، وكلّ صفـة ذميمـة فـرع عنهـا».[30]

والحـال أنّ الإنسـان ليـس عقـلًا، ولا يقـوده عقلـه، بـل تقـوده نفسـه قيـادة سـيطرة وإحـكام. وعليـه، قـد لا يقبـل الإنسـان بـما يُـزَوِّده بـه عقلـه مـن إقنـاع في مسـائل متعـدّدة، بـل نجـده يطلـب الوصـول إلى اليقـين بشـأنها. بيـد أنّ تخطّـي الإقنـاع إلى اليقـين يـؤدي بالـضرورة إلى قلـب العقـل إلى لاعقـل وإغـراق العقـل الفـرديّ فيـما هـو غـيره، لأنّ الإقنـاع شـأن العقـل أمّـا اليقـين فشـأن النفـس. وإذا مـا عجـز المـرء عـن الوصـول إلى اليقـين والاطمئنـان بـه، لم يقنـع مـن جهـة أخـرى بـما يـزوّده بـه عقلـه ويلـحّ في المطالبـة بـما لا يسـتطيع

30) محيـي الديـن ابـن العـربي – تلقيـح الأذهـان –مـشرف أيمـن حمـدي – والإشراف العلمـي أ.د. عـلي جمعـة الناشر مؤسسـة ابـن العـربي للبحـوث والنـشر –دار الوابـل الصيـب –جمهوريـة مـصر 2020 – ص: 144

ذلك العقل الفرديّ أن يحقّقه له.[31] وهو ما يحتاج إلى الإصرار والمثابرة، وإلى عزم قويّ يجعل الفرد يستمرّ وإن تكالبت عليه التحدّيات والمعاناة، والقوّة تكمن في تصفية الرؤية والمحيط من حولك لا يُبَشِّر. وإن أردت أن تأخذك الموهبة بعيدًا فيجب عدم التوقّف تحت أي ضغط، وهو ما يعطي الإنسان زمام حياته وسيطرته عليها، حتى لا يترنّح في مهبّ ريح الحياة.

خامسًا: العقل وَمَلَكَة الحدس

في علم النفس شيء من العلم، ولهذا أسباب عديدة، لكنّ السبب الأهمّ أنّ النفس والعقل يستعصيان على مناهج علم النّفس السّائدة، وهما قبل ذلك لا يحظيان باعترافه بهما كثنائيّة يتميّز أحدهما من الآخر، فمذاهب علم النفس ومدارسه ومناهجه الحالية ما زالت قاصرة عن فهم الإنسان، لأنها أحيانًا تحجب الإنسان عن نفسه، وتُلغي عقله فتدمجه في سلوكه، وفي إرادته وذكائه ووجدانه، وبذلك تبخس حكمته وتحطّ من قيمته ككائن ماديّ روحيّ نفسيّ عقليّ إنسانيّ، وتفعل ذلك لأنها لم

31) - الإنسان ليس عقلا - سالم القمودي - مؤسسة الانتشار العربي - لبنان - ط 1 -2001- ص 62 :

تخرج بعد من دائرة المنهج العلميّ التجريبيّ، ومن دائرة علم الفلسفة المحض؛ بل ولم تخرج من دائرة البيولوجيا والفسيولوجيا. والفلسفة الحديثة بمذاهبها المتعدِّدة، وكذلك الفلسفات المعاصرة باتجاهاتها المختلفة تنازلت عن حقيقة الإنسان وعن البحث في النفس بما هي نفس، رغم اعترافها باستقلال الإرادة الذّاتيّ عن العقل، وبأنّ العمليّات العقليّة متميّزة من النزوع والوجدان. الواقع أنّ المفكّرين والفلاسفة ما زالوا يتجادلون حول ثنائيّة العقل والجسد، والمادة والروح، والفكر والامتداد، إذ يردّ بعضهم هذه الثنائية إلى وحدة واحدة هي المادة فقط، في حين يردّها آخرون إلى العقل وبعضهم إلى السلوك فقط، الأمر الذي أدى إلى ظهور نظريّات قاصرة عن فهم الإنسان، لأنها تناولت جانبًا من دون آخر. ومن ثمّ اختلفت النتائج والحلول تبعًا لاختلاف أساس البحث ومصادر الاستنباط والاستقراء ومراجع الحدس والإلهام. فالماديّون انطلقوا من الجانب الماديّ في الإنسان، وبحثوا في الطبيعة الماديّة الخالية من كلّ قيمة معنويّة إنسانيّة. والمثاليون سَحَرَهم العقل فاشتطوا في الإعلاء من شأنه وتنصيبه ملكًا في الأرض يُشَرِّع ويُقَنِّن، والوجوديون رأوا في الذات مشروعًا جديرًا

بـأن يتحقّـق ويحقِّـق نفسـه في دنيـا الواقـع بمعـزل عـن أيّ قيـد مـن أخـلاق أو شرط مـن واجـب، وحيّرهـم القلق في الإنسـان، وكان مـن فـرط قلقهـم وحيرتهـم أن اخترعـوا نمطًـا فريـدًا مـن الحريّـة، ونعنـي الحرية الوجوديّـة. أمّـا العمليّـون (البراجماتيون) فبهرهـم العمـل، وشـدتهم التجربـة فاعتقـدوا بـأنّ مـا وراءهمـا وهـم وخيـال، وميتافيزقيـا لا معنـى لهـا ، وكذلـك أراد أصحـاب الإنسـان الكامـل، والإنسـان الفاضـل، والإنسـان الأعـلى مـن الإنسـان أن يكـون إنسـانًا فـوق الإنسـانية، مطلـق الحكمـة والإرادة والتدبـير.

عـلى الرّغـم مـن اختـلاف فهـم تلـك النظريـات للإنسـان نؤكِّـد وجـوب سـلوك طـرق جديـدة في البحـث، فـلا ثنائيـة ديـكارت ولا تقسـيمات كانـط للعقـل ولا واحديّـة هيجـل ولا وجوديـة سـارتر ولا ظاهريّـة هـوسرل بكافيـة لدراسـة الإنسـان ومعرفتـه وفهمـه بـما هـو إنسـان بجسـده وعقلـه ونفسـه ووجـوده وحياتـه وتفكـيره وإرادتـه وفعلـه وحركاتـه ونزوعـه ووجدانـه.[32]

لكـن مـاذا عـن المعرفـة الحدسـيّة؟ يمكـن تسـمية الحـدس بالاسـتبصار أو الفطنـة، وشرارة الإدراك الأولى، وأولى الدرجات

32) الإنسـن ليـس عقـلا – سـالم القمـودي – مؤسسـة الانتشـار العـربي – بـيروت – ط 1 2001- – ص: 25-21

في سلم النشاطات السلوكيّة. والاستبصار قد يأتي بعد محاولات فشل ، وبعد تصميم وإصرار على النجاح .[33]

الواقع أنّ الحدس ملكة إنسانيّة قويّة، وهي من أهمّ المَلَكات التي تميّز المبدعين، فضلًا عن أنّها من أهمّ القدرات المعرفيّة والعقليّة لدى الإنسان. حقيقة الأمر أنّ الكثير من العمليّات الحدسيّة كانت مسؤولة عن الإبداع والابتكار وعن نشوء الحضارة التي نعيشها بمنجزاتها المختلفة. إلى ذلك، من السّمات الّتي تُميّز الحدس اختلافه عن المنطق وعن الفكر التحليلي، ذلك بأنّه يعتمد على المجال وعلى سياق الموقف لا سيّما أنّه يتطلب إدراكًا كليًّا لعناصره، في حين أنّ التفكير التحليلي تجميع لموضوعات متشابهة استنادًا إلى عناصر المثيرات الموضوعيّة للمثيرات أكثر منه استنادًا إلى العناصر الذاتيّة الذي تُميّز المعرفة الحدسيّة.[34] نذكر على سبيل المثال: حدس بوانكاريه وحدس أرخميدس وغيرهما الكثير.

سادسًا: العقل وعمل الأفكار

قسَّم ديكارت الأفكار الفطريّة المتّصلة بالعقل إلى

33) علم النفس بين العبقرية والمعلوماتية – د. ممدوح يوسف الجاسم – دار العراب للدراسات والنشر – دمشق – 2020 – ص : 62

34) الحدس ، كيف نفكر ونتصرف وتطبيقاته الإرشادية والتربوية – د. محمد قاسم و د. محمد ابو رسين – دار الفكر – الأردن- 2005 – ص : 12- 34

ثلاثـة أنـواع رئيسـة: الأفـكار الاتفاقيـة والأفـكار الاصطناعيّـة والأفـكار الفطريّـة. وترجـع الأفـكار الاتفاقيـة إلى العقـل عـن طريـق الخـبرة، بينـما يقـوم العقـل بنشـاطه الفـذّ عندمـا يُكَـوِّن الأفـكار الاصطناعيّـة التـي هـي وليـدة العقـل واصطناعـه، بينما يخلـق الله الإنسـان وهـو مـزوّد بالأفـكار الفطريّـة وهـي أسـاس المعرفـة الإنسـانيّة، فهـي تخلـق مـع خلـق العقـل والـروح [35]. وعـلى هـذا لدينـا أفـكار أساسـيّة هـي الله، العقـل، المـادة وهـي أفـكار فطريّـة لا علاقـة للإحساسـات أو الخـبرة الحسّـيّة بهـا. وأسـاس فطريتهـا أنهـا أفـكار واضحـة بذاتهـا، لا تنطـوي عـلى أيّ محتويـات حسـيّة، كـما أنهـا ليسـت صـورًا ونتيجـة لخـبرة حسـيّة.

بيـد أنّ الأفـكار لا توجـد مـن دون لغـة، وليسـت هنـاك لغـة بغـير أفـكار. الحـقّ أنّ هـذا الترابـط بـين الفكـر واللغـة أو بـين المعنـى والصـورة الصوتيّـة تجـاوز تلـك الصـورة التقليديّـة للمعرفـة التـي تأسّسـت عـلى العلاقـة الثنائيّـة. بعبـارة أوضـح، كان الاسـم يحيـل إلى الـشّيء في تلـك الصّـورة التقليديّـة، الّتـي كانـت تقيـم تطابقًـا بينهـما، كـما لـو أنهـما مـن طبيعـة ماهويّـة

35) وهـو متوافـق مـع ما ذكـر في الصحيحـين عـن النبـي عليـه الصـلاة والسـلام» كل مولـود يولـد عـلى الفطـرة فأبـواه يهودانـه وينصرانـه ويمجسـانه كـما ينتـج البهيمـة جمعـاء هـل تحسـون فيهـا مـن جدعـاء حتـى تكونـوا أنتـم تجدعونهـا»

واحـدة. أمّـا في فلسـفة مـا بعـد الحداثـة صـارت العلاقـة تتكـون مـن ثلاثـة أطـراف: الـدال والمدلـول والصـورة الذهنيّـة أي مـا ينتـج عـن العلاقـة بـين الـدال والمدلـول، بمعنـى أنـه ليـس هنـاك تطابـق بـين اللفـظ والـشيء والدلالـة، ذلـك أنّ الكلـمات علامـات تهـدف إلى إيصـال معنـى، والمعنـى فكـرة تمثلهـا علاقـة، وليـس لهـا وجـود بدونهـا. وهكـذا لم تعـد المعرفـة تقـوم عـلى المعنـى الـذي يعطيـه العقـل للـشيء، فتحـدّد الأشـياء تبعًـا لمعانيهـا كـما تذهـب الفلسـفة المثاليّـة، ولا الأشـياء تنعكـس في العقـل كـما تـرى الفلسـفة الماديّـة؛ بـل تقـوم عـلى العلاقـة المستمرّة بـدون أسـبقية منطقيّـة أو أنطولوجيّـة لطـرف عـلى الآخـر - بـين الإنسـان والوجـود - عـن طريـق اللغـة بـما هـي علاقـة. وهكـذا أصبحـت اللغـة علامـات وليسـت تمثيـلًا للأشـياء، فالكلـمات لا تقـول الأشـياء بـل تقـول تصـوّرات عن الأشـياء تبعًـا للمعرفـة القائمـة في الحقبـة التاريخيّـة، وهكـذا تـم انفـكاك الكلـمات عـن الأشـياء.[36] والعلاقـة وطيـدة بـين اللغة والفكـر، فاللغـة هـي النشـاط الخـلّاق الـذي يقـوم بـه العقـل، وفعـل العقـل في اللغـة يشـارك فعـل العقـل في العلـم. ففـي كلتـا الحالـين يُلقـي العقـل عـلى الأشـياء شـبكة مـن العلاقـات

36) مفهـوم العقـل ، الحداثـة ومابعـد الحداثـة - محمـد سـعيد ريـان - مركـز الحضـارة العربيـة - القاهـرة - ط1 2012 - ص :118و119

التي تهيمن على التجربة المعاشة، وتعالج المعطيات، وتبني عالمًا. وارتباط الأشياء لا يتميز من تلقاء نفسه، بمعنى أنّ هذه الارتباطات لا تتمّ إلا بالفعل الذي يُفكّر فيها. علاوة على ذلك، كلّ فكر هو فكرٌ رمزيّ، وكلّ فكر يُبنى أوّلًا على علاقات لبناء الأشياء، والعلاقة أداة للفكر، واللغة بدورها لحظة من لحظات تكوين الأشياء بواسطة العقل. واللغة كذلك إحدى الآلات الروحيّة التي تحوِّل العالم المحسوسات إلى عالم تمثّلات، فهي قوّة نشيطة تستولي على الحقيقة الواقعيّة، إذ لا توجد كلمات من دون وجود أشياء[37].

سابعًا: العقل والدّربة

نجد أنّ أوّل من أثار فكرة الثنائيّة بين النفس والجسم هو « أنكساغوراس » الذي قال بفكرة العقل ليميّزه من المادّة. ومن ثم جاء أفلاطون لكي يجعل هذا التمييز حادًّا بين النفس والجسم، وقال إنّ الصقل يوجد قبل الجسم، وإنّ العقل قادر على التحكم في الجسم طوال مدّة إقامته فيه، والصّورة بمثابة النفس. ويذكر ديكارت في تأمّلاته أن وجوده باعتباره إنسانًا معترفًا به عن طريق الفكر، وما

37) موسوعة الفلسفة – عبدالرحمن بدوي – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – الأردن – ط2- 2019 – جزء 1 – ص : 479

يستتبع الفكر من وجود العقل أساسًا، ذلك بأنّ الإدراك لا يستقيم في اعتقاد ديكارت من دون العقل الإنسانيّ، العقل المتميّز والواضح وهو أساس المعرفة لديه. (38)

ويُعَرِّف كانط العقل بأنّه المَلَكة التي تمدُّنا بالمعرفة القَبْلِيَّة، والعقل النظريّ (المحض) هو ذلك الذي يحتوي على المبادئ التي تساعدنا في معرفة أي شيء معرفة قَبْلِيَّة محض، وأنّ آلة العقل أو أداته هي مجموع المبادئ التي يمكن على أساسها تحصيل جميع المعارف القَبْليّة المحض، وتكوينها بصورة واقعيّة، وإلى جانب المعنى المنطقيّ والعلميّ للعقل فهو يحمل كذلك معنى البصيرة ذلك بأنّه ملكة عقليّة متعالية تعنى بميلنا إلى التفكير في المطلق وفي حقائق الأشياء، ناهيك بكونها مصدر مواقفنا الميتافيزيقيّة. أمّا الاستعمال المنطقيّ للعقل - عند كانط - فيحمل بثلاثة أنواع من الاستدلال: الاستدلال المباشر والاستنتاج والاستدلال العقليّ. (39)

إنّ بنية العقل الإنسانيّ أو بتعبير أدقّ إحدى وظائفه هي في الحقيقة لتغطية مبدأ الانتظار وحجبه، سواء كان ذلك في

38) مفهوم العقل في الفكر الفلسفي - د. ابراهيم مصطفى ابراهيم - دار النهضة العربية - بيروت 1993 - ص : 86

39) نقد العقل بين الغزالي وكانط - دراسة تحليلية مقارنة - د . عبدالله محمد الفلاحي - مجد المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ط -1 2003م - ص : 232-236

الحركـة أو في التغيـير. فكيـف يكـون ذلـك في الحركـة؟ الواقـع أنّ العقـل لا يسـتطيع أن يُـدرك غـير ترتيـب المواقـف، وإذا كان العقـل يـضيء لنـا عملنـا بـما يتعلّـق بهـذه الـذوات - وعملنـا ليـس جميـلًا إلا عندمـا يعمـل في نقـاط ثابتـة لأنّ الثبـات هـو مطلـب عقولنـا - فـإنّ الحركـة تظهـر لنـا وكأنهـا منظومـة مواقـف، وهـذا هـو حكـم التغـيّر، ذلـك بـأنّ العقـل يفصـل ذلـك لأوضـاع وحـالات متعاقبـة، تختلـف كلّ حـال عـن غيرهـا. وإذا كانـت الحركـة عبـارة عـن مجموعـة مواقـف، والتغـيُّر مجموعـة حـالات، فـإنّ الوقـت مـا هـو إلا أجـزاء وأجـزاء متميّـزة، الواحـد بجانـب الآخـر، وكلّ جـزء يتعاقـب مـع الآخـر. وعليـه، إذا كان التغـيُّر واقعيًّـا، فعلينـا أن نـرى المـاضي بعيـون أخـرى غـير التـي عوَّدنـا عليهـا الفلاسـفة وعوّدتنـا عليهـا اللغـة، لا سـيّما أنّنـا نميـل إلى أن نتخيّـل ماضينـا وكأنـه غـير موجـود. حقيقـة الأمـر أنّ الفلاسـفة يعـزّزون فينـا هـذا الميـل، فكلّـما تعمّقنـا في البقـاء الواقعـيّ، شـعرنا بأننـا نقـترب مـن العلّـة، العلـة المتسـامية التـي نحـن مشـتركون فيهـا، والتـي أزليّتهـا ليسـت بالـضرورة أزليّـة باللامتغـيّر ولكنّهـا أزليّـة في الحيـاة. (40)

40) مفهـوم العقـل ، الحداثـة ومابعـد الحداثـة - محمـد سـعيد ريـان - مركـز الحضـارة العربيـة - القاهـرة - ط1 2012 - ص:69-72

إلى ذلك يأتي مصطلح المَلَكة الجديدة من الحركة العقليّة قبل الجسمانيّة، ووظيفتها الغوص على المعاني الدقيقة عبر الدربة والتدرب على مقتضى الدلالة التي تقوم على ثلاثة أركان هي التضمن والمطابقة والالتزام، وعبر ممارستها والمداومة عليها. وبفعل العقلنة تنشأ الملكة الجديدة بوصفها مهارة ومَلَكة جديدة. وكلّ جديد يقتضي قديمًا له، ولا يصحّ إطلاق صفة الجديد إلا لوجود القديم، وهذا يحيل إلى وجود الموهبة أوّلًا، ومن ثمّ تتلوها الدربة، وفي تعاضد الموهبة مع الدربة تتشكل هذه الملكة بما هي مهارة مكتسبة. (41)

إنّ العقل هو قمّة الملكات الإنسانيّة والقدرات الفكريّة، وهو في هذا يشبه الإنسان الذي يُعَدّ أيضًا أعلى قمّة في تدرج المخلوقات التي خلقها الله تعالى على الأرض، كما أنّ العقل هو مملكة المعرفة التي تجد في الفلسفة والعلم أفضل تعبير. (42)

ونجد أنّ كثيرًا من المفكّرين سواء كانوا فلاسفة أو علماء

41) المركز الثقافي العربي – المغرب – ط 1 2020 – ص : 13و 14 السردية الحرجة ، العقلانية أم الشعبوية -

42) مفهوم العقل في الفكر الفلسفي – د. ابراهيم مصطفى ابراهيم – دار النهضة العربية – بيروت 1993 – ص : 11

أو أدباء منحوا العقل أهميّة كبيرة، فرفعوا شأنه وعظّموا سلطانه، وأرجعوا كلّ شيء إليه. وطبقًا لقانون نيوتن فإنّ لكلّ فعل ردّ فعل، والحال أنّه بتقدّم الزمن ظهرت حركة لاعقليّة أو حركة اللامعقول أو اللاعقلانيّة وكلّها معان واحدة تفيد أنها مضادّة للعقل أو ثورة على نفوذه. ويعود سبب هذه الحركات الثائرة على العقل إلى الأحداث الجسام التي شهدتها الإنسانيّة، بخاصّة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، وانتشار الثورة الصناعية وغيرها من المتغيرات المجتمعيّة، التي أظهرت الإنسان بمظهر المفتقر إلى العقل، وحسن التدبير، لأنه أصبح يحطِّم حضارته التي بناها على مرّ الأزمان بفكره وعرقه. وعلى الرغم من أنّ هذه الحركة تعتبر ثورة لاعقليّة إلا إنها تحوي في طياتها منتهى العقل والاتزان، فيقال إننا نستطيع تحديد اللاعقليّ عن طريق تحديدنا العقل « فمعنى العقل في الفلسفة المثاليّة وكذلك التجريبيّة هو تلك العلاقات الضرورية بين فكرة وفكرة أخرى تلزم عنها كما نجد في الرياضة، في حين يضيف التجريبيون على ذلك استدلال الوقائع، وفي ذات الموضوع نجد أنّ الغزالي في القرن الحادي عشر أنكر وجود علاقات ضرورية بين السبب والمسبِّب، وبهذا لا يكون إدراك السببية

عمليّــة عقليّــة. ومــن هــذا التحديــد لمعنــى العقــل يتبــيّن أن "اللاعقــلي" هــو حــالات تسكّن الإنســان وليســت « بانتقــالات» مــن مقدمــة إلى نتيجة.[43] وهــو مــا تقــوم عليــه إنجــازات الموهوبــين والعباقــرة والمبدعــين في أنهــم يعتمــدون عــلى الخيــال كأوّل خطــوة مــن دون الركــون إلى التفكــير المنطقــيّ، وإلا بِــمَ اكتُشِــفَت كلّ الاختراعــات في الطــيران والطــبّ والهندســة والفضــاء والغــوص والبنــاء والفــنّ وغيرهــا؟ وهــذه هــي القــدرة البشريّــة التــي تســعى المؤسســات إلى تحســينها مــن خــلال لجــان تشــكيل الســيناريوهات المســتقبليّة وقــوّة تحفيــز الأفــكار والفرضيّــات لتخيُّــل حلــول أفضــل، والمنصّــات الفكريّــة والإبداعيّــة وتغيــير القواعــد مــن أجــل تلــك الطفــرات الإبداعيّــة. بيــد أنّ هــذه الطّفــرات لا يمكــن أن تتحقّــق مــن دون المداومــة والدربــة، وهــذا هــو هــدف تحفيــز الابتــكار والإبــداع لــدى المؤسّســات، إذ يُعَــدّ بمثابــة خارطــة الطريــق لتحويــل الأفــكار إلى حلــول، والعثــور عــلى الأفضليّــة. إنّ فهــم آليّــة عمــل العقــل مــع هــذا النــوع مــن المثابــرة مــا هــو إلا بمثابــة المــضيّ قدمًــا أمــام كل مــا هــو متغــيّر حولنــا.

43) المرجع السابق – ص : 200-202

ثامنًا: العقل والانضباط الذاتيّ

يُستخدَم مصطلح الانضباط الذاتيّ كثيرًا في الأدب التربويّ المعاصر، وهو لا يتكرّر إلا نادرًا أو في حالات قليلة في الفلسفة، وهو مصطلح غير مفهوم لمن ليس لديه أساس معرفيّ فلسفيّ. وفكرة الانضباط الذاتيّ أو التحكّم الذاتيّ فكرة أساسيّة في كلّ نظرية تربوية من أيّام أفلاطون وحتى يومنا هذا، وفي جوهر هذه الفكرة التربويّة تكمن نظرة ترى في الإنسان مخلوقًا ذا بعدين أو أبعاد كثيرة تكون مسرحًا للتنافس والصراع. وبمقتضى هذه النظرية فإنّ رسالة الإنسان تكمن في قهر هذه القوى وإخضاعها وربطها تحت سيادة عنصر واحد في نفسه، والمسار الذي بمقتضاه يستطيع الإنسان أن يمتلك القدرة على التحكّم بذاته هو الانضباط الذاتيّ أو كما وصفه أفلاطون هو الاتزان أو التعقل أو الحكمة.[44]

يتّخذ السّلوك وجهين: وجهًا خارجيًّا ويمكن ملاحظته بالحواسّ، وهو سلوك حسيّ شعوريّ، ووجهًا آخر هو السّلوك الباطنيّ اللاشعوريّ وغير الحسيّ الّذي لا نُدركه

44) مفهوم العقل ، الحداثة ومابعد الحداثة - محمد سعيد ريان - مركز الحضارة العربية - القاهرة - ط1 2012 - ص : 65 - 66.

حسيًّا ولكن ندركه عقليًّا ونفسيًّا من خلال آثاره. تتمّ دراسة السلوك الخارجيّ بالملاحظة والتجربة كلغة الجسد ولغة الكلام التي نستدلّ بها من نبرة الصوت المرتبطة بالإدراك العاطفيّ. ويشتمل السّلوك على عدد كبير من النشاطات من أهمّها: الاستبصار والإدراك والتخيّل والذاكرة، وهي سلوكيّات موجودة عند كل الأسوياء، وتعمل بطاقات وسطيّة متقاربة ولكنّها تتغيّر بحسب البيئة والعمر، وتتأثر بعوامل بيولوجيّة وبيئيّة واجتماعيّة. أمّا الذكاء والشخصية فهما صفتان فرديّتان تختلفان من شخص إلى الآخر وتعطيان للشخص بعض الاستقلالية والهويّة. بيد أنّ السلوك العبقريّ لا يعني بالضّرورة أنّ صاحبه يملك ذكاءً خارقًا[45]، وإنما قد يكون الإنسان العاديّ هو صاحب العبقرية الحقيقية إذا كان قادرًا على إضافة كلّ ما هو جميل في هذه الحياة، كبناء سور الصين أو الإتيان بمنهج تعليميّ متميّز لذوي الاحتياجات.

إنّ من يعيش على انسجام مع ذاته يعيش بانسجام مع العالم لأنّ النظام الكونيّ والنظام الفرديّ ليسا إلا تعبيرين مختلفين ومظهرين لمبدأ مشترك كامن تحتهما، ويستطيع

45) علم النفس بين العبقرية والمعلوماتية - د. ممدوح يوسف الجاسم - دار العراب - دمشق 2020- - ص : 60 - 61

الإنسان أن يثبت قوّته النقديّة الكمينة، وقوّته في الحكم والتفرّس إذا اعتقد أنّ النفس في هذه العلاقة - لا الكون- هي التي تقوم بالقيادة والتوجيه، وحين تحرز النّفس صورتها الداخلية تبقى لها هذه الصورة أبدًا ثابتة رصينة لا تتغيّر ولا تتزعزع كالدائرة إذا تكونت بقيت صحيحة محتفظة باستدراتها.[46] « العقل والأدب كالروح والجسد، فالجسد بغير روح صورة، والروح بغير جسد ريح». [47]

والإنسان بطبيعته يتأثّر ويؤثر بمن حوله، ومن منطلق الانضباط الذاتيّ أن يحفظ نفسه عن طريق مجالسة من يمتلكون صفات عالية. قيل في ذلك: « إذا أنكرت عقلك فاقدحه بعاقل» [48]

وهذا العنصر المتحكِّم في الإنسان قوّة داخليّة، وهو من وجهة نظر فلسفيّة يمثل ماهيّة الإنسان وجوهره، وقد فُسِّر على مرّ التاريخ بأنه قانون أخلاقيّ، وبمقتضى هذا المفهوم تصبح رسالة الإنسان تتمحور في الصراع مع ذاته لإخضاع

---

46) مقال في الإنسان – مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية – إرنست كاسيرر- ترجمة د. إحسان عباس – دار الروافد الثقافية – ناشرون – بيروت – ط 1 2020 – ص : 24

47) محاضرات الأدباء ومجاورات الشعراء والبلغاء – لأبي القاسم الأصفهاني – تحقيق د. رياض عبدالحميد – دار صادر – بيروت – ط 3 -2012- -ج1 – ص : 19

48) محاضرات الأدباء ومجاورات الشعراء والبلغاء – لأبي القاسم الأصفهاني – تحقيق د. رياض عبدالحميد – دار صادر – بيروت – ط 3 -2012- -ج1 – ص : 20

طبائعه وميوله، وبهذا فإنّ وضع الانضباط والتحكم الذاتي يستمرّان طيلة حياته؛ ولهذا فإن التربية هي الآلة التي وُضِعَت من أجل مساعدة الإنسان في إعداد نفسه. فالتربية الرسميّة لا ينتهي دورها في عمر الإنسان؛ بل ما يمكن أن نتصوّره هو بدايتها فقط. وفكرة الانضباط الذاتي تشابه إلى حدّ ما نظريّة «تطوّر الإنسان» التي أخذت تعبيرًا فريدًا من نوعه في القرن التاسع عشر، بخاصّة مع فلسفة كيريجارد ونيتشه، هذه النظريات التي ترى في الإنسان أنّه في الأصل عضو في المجتمع الإنسانيّ، وحلقة في سياق التطوّر التاريخيّ، ولكنه ذو ماهية في خصوصيته التي لا تتكرّر. وما يميز هذه الذات أنها ذات ديناميّة وصاحبة وعي. بعبارة أخرى، يسعى الإنسان إلى التطوّر لكي يحقّق الإمكانيات الكامنة فيه، ويُحقّق وجوده عن طريق دوافع داخليّة، وهذا ما أطلق عليه كيريجارد «الدافع الداخليّ»، وما يقابل هذا المصطلح عند نيتشه هو «إرادة القوّة».

ووسّعه حتى شمل الكون في الوقت الذي يضع كيريجارد تحقيق هذا المعنى في خانة الفرد. (49)

تجدر الإشارة إلى أنّ بعض الفلاسفة حاولوا إيجاد

49) مفهوم العقل ، الحداثة ومابعد الحداثة - محمد سعيد ريان - مركز الحضارة العربية - القاهرة - ط1 2012 - ص: -66 69

أخـلاق عـلى أسـاس علمـيّ. قيـل: « إنّ الإنسـان قـد مُنِـحَ عقـلًا، ويعتقـد أنّـه حـرّ». والعقـل والحريـة أساسـيّان لقيـام الأخـلاق، فالسّـلوك يكـون أخلاقيًّـا إذا أمـلى العقـل قواعـد السـلوك، عـلاوة عـلى أنّ الربـط بـين الواجـب والفضيلـة ربـط ضروريّ ذلـك بـأنّ الفاعـل الأخلاقـيّ يرجـع إلى الأفضـل بـين الخـيرات، والأفضـل هـو الموافـق للعقـل، وهـو الاسـتقلال الـذاتيّ لـلإرادة، وهـو الـذي يتوافـق مـع مذهـب المنفعـة التـي تكـون ذاتيـة وغيريّـة. عـلى سـبيل المثـال: إنّ شـعور الضمـير بالرضـا إن كان الفعـل حسـنًا هـو مـن المنفعـة كذلـك، وهـو مـا يؤكـد فكـرة السـلام بوصفـه غايـة عظمـى للأخلاق.[50] وقـد ذهـب التربويّـون إلى عَـدِّ الكاريزمـا صفـة مـن صفـات الشـخصيّة المبدعـة أو القياديّـة أو الموهوبـة، وهـو مـا يتوافـق مـع مبـدأ الأخـلاق. فالشـخصيّة المبدعـة أو الموهوبـة أو العبقريـة تفـترض سـلفًا حـدًّا أدنـى مـن الثقـة في حسـن النوايـا لأنهـا مـن المفـترض أن تشـتمل عـلى علاقـات إنسـانيّة.

50) موسـوعة الفلسـفة - عبدالرحمـن بـدوي - المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنـشر - الأردن - ط 2 2019- - جـزء 1 - ص : 527

خاتمة

إنّ الإنسان بسلوكه الظاهر والباطن مخلوق معقّد متغيّر من الصعب إخضاعه للدراسة، ولعلّ ذلك سرّ مرونته وعظمته. ولقد أكسبته هذه المرونة عبقريّة خاصّة. وحين نتناول موضوعًا شائقًا كالموهبة أو العبقرية نقف أمام خيار محيّر في تحديد معيار للتّمييز بينهما، أو نقف حائرين حول أي موهبة نختار ؟ الذكاء ؟ الإبداع ؟ البراعة الرياضية؟ القدرة الموسيقية ؟ الذكاء التجاريّ؟ البراعة الفنية؟ مهارات التعامل مع الناس؟ التأثير المهنيّ؟ جاذبية الشخصية؟ لنصل إلى أكثر من معيار يحدّد صفات الذات الموهوبة وأولها ذلك التوق إلى التعلّم. فالناس يقومون بصورة غير واعية بتأخير نموّهم الفكريّ حينما يبلغون مرحلة راحتهم الشخصيّة، وتُصاب عقولهم بالكسل، ليفقدوا أعظم ما يمكن أن تقدّمه لهم الحياة، فكلّما كنتَ مُنخَرِطًا أكثر كانت الحياة مشوّقة بقدر أكبر، وكلما كنت مهتمًّا أكثر في الاستكشاف والتعلّم، كانت إمكانات نموك أكبر. (51)

51) ما بعد الموهبة - جون سي ماكسويل - ترجمة عماد إبراهيم عبده - الأهلية للنشر والتوزيع - الأردن ط1-2018 - ص : 177-181

ووصل البحث إلى أنّ الوعي هو المعيار الحقيقيّ الذي يدفع الإنسان إلى معرفة ذاته، وأنّ الشك هو سبيل اليقين، ومعرفة العقل ووعي عمله المسلك الأول في مدراج الوعي، والوعي بالذات والعقل والنفس والجسد والحدس وغيرها من الممتلكات المعرفية يُسهم في تدفق الحياة المتَّسِمة بالاستمرار، وهذا بالضبط ما يكسبه آفاقه الحضارية من ابتكار وتأثير وجودة.

الواقع أنّ تناول العقل في مباحث إنسانية بحث فيه الكثير من التشعبات المعرفية التي تأخذ مناحي مختلفة من البحث العلميّ، إلا أنّ البحث رامَ أن يركِّز على بعض المعطيات وأن يجمعها بشكل بحثيّ يتخطّى الأطر الفلسفيّة والنفسيّة والتربويّة والاجتماعيّة والنقديّة. وهذا النوع من الطرح مرتبط بشكل رئيس بالوعي الذي تتجلّى فيه جميع الأنشطة الإنسانيّة ضمن الوجود الاجتماعيّ.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

د. ابراهيم مصطفى ابراهيم - مفهوم العقل في الفلسفي -- دار النهضة العربية - بيروت 1993

أبي القاسم الأصفهاني – محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء -- تحقيق د. رياض عبدالحميد - دار صادر - بيروت - ط 3– جزء 1 –2012

إرنست كاسيرر– ترجمة د. إحسان عباس – مقال في الإنسان - مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية -- دار الروافد الثقافية ناشرون - بيروت - ط 1 2020

بيتر فيسك - ترجمة د. أحمد طاهر ومحمد حسن قناوي عبقرية الإبداع -- عالم الكتب

جون سي ماكسويل - ترجمة عماد إبراهيم عبده – مابعد الموهبة-- الأهلية للنشر والتوزيع - الأردن طبعة أولى– 2018

ديـن كيـث سـايمنتين - ترجمـة د. شـاكر عبدالحميـد – العبقرية والإبـداع والقيـادة -- سلسـلة عـالم المعرفـة– الكويـت – 1993م

سـالم القمـودي – الإنسـان ليـس عقـلا -- مؤسسـة الانتشـار العـربي - بـيروت - ط 1 –2001

د. طالـب محمـود ياسـين الخفاجـي و د.عـلاء صاحـب عسـكر– الموهبـة وإشـكالية تداخـل المفاهيـم -- مجلـة جامعـة تكريـت للعلـوم الإنسـانية - مجلـد 22 - عـدد 12 - جـزء أول - كانـون الثـاني - 2015

عائشـة حسـن أحمـد البوعينـين – القيـادة الإبداعيـة للموهوبـات -- دار المسـيلة- الكويـت - ط 1

د. عبـدالله الغذامـي – السرديـة الحرجـة ، العقلانيـة أم الشـعبوية -- المركـز الثقـافي العـربي -المغـرب - ط 1 2020

د . عبـدالله محمـد الفلاحـي – نقـد العقـل بـين الغـزالي وكانط– دراسـة تحليليـة مقارنـة -– مجـد المؤسسـة الجامعيـة للدراسـة والنـشر والتوزيـع – بـيروت – لبنـان – ط –1 2003م

د. عبدالهـادي مصبـاح – العبقريـة والـذكاء والإبـداع -- الـدار

المصريـة اللبنانيـة - 2006

عبدالرحمـن بـدوي – موسـوعة الفلسـفة -- المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنـشر - الأردن - طبعـة ثانيـة –2019 - جـزء 1

السـيد كـمال الحيـدري - المذهـب الـذاتي في نظريـة المعرفـة -- دار فراقـد للطباعـة والنـشر – ايـران 2005 م

لسـان العـرب لابـن منظـور - دار صـادر - بـيروت طبعـة رابعـة– 2005

د. مؤيـد عبـد عـلي الطائـي – الإنسـان بـين وهـم الإدرام وحقيقـة الوعـي -- الـدار المنهجيـة للطباعة والنـشر - الأردن - ط 1– 2023

مـشرف أيمـن حمـدي – والإشراف العلمـي أ.دعـلي جمعـة – محيـي الديـن ابـن العـربي ، تلقيـح الأذهـان - النـاشر مؤسسـة ابـن العـربي للبحـوث والنـشر –دار الوابـل الصيـب –جمهوريـة مـصر 2020

محمـد سـعيد ريـان - مفهـوم العقـل ، الحداثـة ومابعـد الحداثـة-- مركـز الحضـارة العربيـة – القاهـرة – طبعـة أولى 2012

ترجمة محمد عبدالواحد محمد - تحرير بينيلوبي مرّي - العبقرية – تاريخ الفكرة-- عالم المعرفة 208 – الكويت– 1996

د. محمد قاسم و د. محمد ابو رسين – الحدس ، كيف نفكر ونتصرف وتطبيقاته الإرشادية والتربوية -- دار الفكر – الأردن– 2005

د. ممدوح يوسف الجاسم – علم النفس بين العبقرية والمعلوماتية -- دار العراب – دمشق 2020–

نخبة من الخبراء المتخصصين – إدارة الموهبة والإبداع -- دار التعليم الجامعي - الاسكندرية – 2016

ياسر بهاء الدين – الذكاءات المتعددة واكتشاف العباقرة-- دار عالم الثقافة -القاهرة – ط1 - 2017